مجلة الحكمة للدراسات الاقتصادية
Eissn :2600-6413 Issn : 2353-0480
المجلد 7 / العدد: 01 (2019)، ص 7- 26

مقاربة مفاهيمية لموضوع العولمة الاقتصادية

A conceptual approach to economic globalization

الدكتور عبد القادر تومي
المدرسة العليا للأساتذة

تاريخ الاستلام: 2019/01/05 تاريخ القبول: 2019/03/20 تاريخ النشر: 2019/04/16

تمهيد:

يشهد العالم في الوقت الراهن تحولات سريعة وتغيرات مختلفة، جعلت الإنسانية تتجه نحو الشمولية، والاندماج غير إنه وبقدر ما ساهمت العولمة في التقارب بين الأفراد بفضل الخدمات المختلفة فإنها بقدر ما باعدت بينهم بفعل التنافس والتسابق. وقد كانت سنة 1991م خاتمة لمرحلة تاريخية عرفت بالحرب الباردة. وما كانت باردة في الواقع بدليل استخدام الرأسمالية كل الوسائل الممكنة ضد احتواء حركات التحرير وإخضاعها لسيطرتها، بعد ما تأكد انهيار الاتحاد السوفيتي.

لقد انتصرت الرأسمالية الغربية في نظر كثير من المفكرين وأصبحت اليوم "عالمية تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية" معلنة بداية مرحلة جديدة تحولت فيها منظمة الأمم المتحدة إلى أداة طيعة في يد الولايات المتحدة وبرزت الرأسمالية في صيغة نظام اقتصادي واجتماعي لا منافس له ، و برزت هذه الأخيرة قطبا يطمح للهيمنة والسيطرة على العالم اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وإعلاميا وثقافيا. ولكن المشكلة تكمن في أن تداعيات العولمة لا تهدد عالم الجنوب فقط بل تصل تهديداتها إلى عالم الشمال، وروج أنصار العولمة إلى ايجابيات العولمة الاقتصادية، وتحدثوا عن تنوع مجالات الاستثمار ، و تحرير الأسواق و توحيدها و تسهيل انتقال رؤوس الأموال ، و زيادة السلع و الخدمات كما و نوعا، و تعميق التبادلات التجارية بين الأمم .

لكن بالمقابل وجد المتعولمون)المنفعلون بالعولمة) على أرض واقعهم الاقتصادي سلبيات كثيرة، مثل زيادة مستوى الفقر بين أفراد دول العالم، بالإضافة إلى انخفاض الأجور، و زيادة التضخم، وارتفاع نسبة البطالة ، وعدم استقرار العملات فضلا على تفكيك الاقتصاديات الوطنية .

وظهرت الاشتراكية ضعيفة في رؤيتها الفلسفية نظرا للاختلاف العميق بين النظرية و التطبيق، وتبخرت مفاهيم المساواة والعدالة الاجتماعية التي كانت تطالب بها.أما الرأسمالية فهي الأخرى لم تقض على الفقر وتبعاته، ولم تحصن الشعوب من الصراعات و الحروب، ولم تسعد الأفراد رغم المساعي الدولية لخلق نظام دولي جديد يتكأ على خدمات التكنولوجيات الحديثة، وكل ما هنالك ان الناس أصبحوا يعيشون فصلا من فصول التاريخ عنوانه العولمة.

شغل هذا الموضوع الكثير من المهتمين، حيث كتبت الجرائد والمجلات عنه كمَا هائلا من المقالات والبحوث. و أقيمت الندوات الفكرية بشأنه في الجامعات والمنتديات، و نوقشت مختلف جوانبه في القنوات التلفزيونية، وعقدت من اجله المؤتمرات في مختلف البلدان. وتجددت المفاهيم والآراء بشأنها كلما حدثت تطورات على الصعيد

العالمي. وهكذا باتت كلمة العولمة على كل لسان وفي كل منتدى بل "أضحى الناس في كل مكان في الأرض يعيشون شكلا من أشكالها ."

إن الخوض في المسائل الفلسفية يقتضي البدء بتحديد المصطلح وضبطه، لان ذلك يسهل درء الغموض ورفع اللبس، وهنا نستحضر مقولة فولتير "إذا أردت أن تتحدث معي حدد مصطلحك" ذلك ان عدم تحديد المصطلح يصعب الوصول إلى النتيجة، لأنها حمالة أوجه.

كما أن محاولة تفكيك مفهوم العولمة من اجل مقاربته تتطلب من الباحث الإلمام باللغات الأجنبية و الغوص في حقول معرفية متعددة كعلم اللغة، وعلم الاقتصاد، وعلم السياسة والفلسفة، والتاريخ، وعلم الإحصاء .

مفهوم العولمة:

قال احد الأساتذة :" قد لا نكون مجازفين إذا ما اعتبرنا أن مفهوم العولمة مازال مفهوماً هشاً حتى في الحقل الاقتصادي الذي تشكل في إطاره" على الرغم من اتفاقنا مع صاحب القول فإن

ذلك لا يمنعنا من تحديد مفهوم العولمة الذي يقتضي منا الوقوف علي مفهومها لغة واصطلاحا مع تمييز هذا المفهوم بين الدارسين العرب وغيرهم من الغربيين .

الاشتقاق اللغوي :

العولمة هي إحدى مشتقات الفعل "علم" "عالم" "يعالم" "عولمة" على وزن فوعلة.

ويقال فوعل الشيء، أي جعل له فاعلية وتأثيرا. والعولمة لغة هي من المصادر القياسية في اللغة العربية ، وبالتالي هي مصطلح سليم من النحت والتركيب. وهي هنا تنوب مناب الفعل فيكون معناها أداء الفعل الذي مادته الجذر اللغوي الذي هو العالم هنا وبذلك يكون معنى العولمة لغة جعل الشيء مادة العولمة عالميا أو على مستوى العالم وبهذا المعنى " إسباغ صفة العالمية على موضوع فعل العولمة" قدمت موسوعة الإدارة والأعمال تعريفها للعولمة على إنها "عملية زيادة الالتحام في الحضارة العالمية" وكلمة العولمة لها ما يشابهها من زاوية الصيغة الصرفية في اللغة العربية، كقول المحدثين قولبة، حوسبة ، عوربة ، غوربة.

والعولمة لغويا هي تعميم الشيء إلى ابعد حد ممكن ، وتطبيقه على أوسع نطاق.

او هي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله.

ويقابل المصطلح عولمة كلمة " GLOBALIZATION" المشتقة من " GLOBAL" في الإنجليزية والمقصود هنا الكرة الأرضية أو الكوكب الذي تعيش البشرية على سطحه أما في اللغة الفرنسية فهي تقابل كلمة MONDIALISATIONالمشتقة من MONDE ولا يرى بعض الفرنسيين حرجا من استخدام كلمة GLOBALISATION على اعتبار إن كلمة GLOBAL في اللغة الفرنسية لها معناها نفسه في الإنجليزية أي "الكرة . "

ويحمل مصطلح العولمة دلالة على قسرية الفعل أي وجود فاعل يفعل ويتجلى ذلك في صيغة " SATION "التي يتضمنها المصطلح في اللغة الأجنبية .

والمعنى اللغوي لكلمة عولمة كما توضحه بعض القواميس والموسوعات المنتشرة في كبريات المؤسسات العلمية الأمريكية يمكننا إبرازه كما ورد :

يعني إن فعل العولمة هو جعل الشيء عالمي أو تطبيقه على مستوى كوني،ومن هنا جاءت فكرة القرية الكونية.

أما موسوعة World English dictionaryوالتي يشرف عليها الدكتور أن سوخإنوف فورد فيها ما يلي :"ان العولمة هي العملية يتخذ فيها الاقتصاد بعدا عالميا".

فمعنى العولمة من حيث الاشتقاق حسب المصادر الأوربية يدور حول جعل شيء ما على مستوى عالمي.

ولتمييز مفهوم العولمة وتوضيحه نورد هنا الفرق اللغوي بينه وبين مصطلح قريب له كثيرا ما يخلط الناس بينه وبين مصطلح العولمة وهو مصطلح العالمية.

كلمة " عالمية " –بصيغة النسبة- حديثة جدا في اللغة العربية، ولا وجود لأصل فعلي لها في اللغة العربية بل نُحِتت من المقالات والدراسات المتخصصة. وبالتالي يقل وجودها في القواميس والمعاجم العامة والمتخصصة والموسوعات العربية .وقد يرجع ذلك من جهة إلى حداثة الاستخدام الواسع للكلمة في مختلف اللغات. فالكلمة أوربية الأصل وقد شاع تداولها- في الغرب ومن ثم انتشرت في العالم- خلال القرون الثلاثة الأخيرة للميلاد.هذا ومن جهة ثانية يرجع الى ضعف القواميس والموسوعات، فأحيانا ترد كلمة " عالَمية " بأحد مرادفاتها "شمولية" أو "كونية" أو "أممية" أو "عمومية" أو "كلية" أو "عام "

ويرجع الأمر أيضا إلى إشكالية الترجمة للكلمات القريبة من "عالَمية" من اللغات الأوربية، والتي تتفاوت وتتباين في ترجمتها.

وتقتصر المعاجم والقواميس العربية على ترجمة تعريفية موجزة للفظة "عالَمية" ولا توردها بالصيغة المتداولة. ففي "القاموس المحيط" ترد كلمة "العالَم" بمعنى: "الخلْق كله، بما حواه بطن الفلك ."

كما تعني أيضا عدة معان نذكر منها ما يلي:

-الخلق كله وهو المقصود من اية (الحمد لله رب العالَمين (

-كل صنف من أصناف الخلق كقولنا "عالَم الحيوان" "عالَم النبات" "عالَم الإنسان."

-كل مجموعة بلدان تجمعها رابطة كقولنا:"العالَم العربي"، "العالَم الإسلامي"، "بلدان العالَم الثالث: الدول النامية."

أما في القرآن الكريم لا نجد كلمة "عالَم" بالمفرد ولكن بدلها نجد كلمة "مُلك" و "ملكوت" و "خلق" و "ناس". ونجد فيه الكلمة المشتقة من "العالَم" هي "العالَمين" ونجدها غالبا مضافة لكلمة قبلها مثل "رب العالَمين ."

وفي "لسان العرب" لابن منظور تعني كلمة "العالَمون" : أصناف الخلق، والعالَم: الخلْق كله، وقيل جمع العالَم: العوالم.

و كلمة "عالَمية" ترادف أيضا كلمة "أمة" ففي قوله تعالى:"وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمُ أُمَّة وَاحِدَةُ وَأَنَا رَبُّكُم فَاعْبُدُونِ" ، إنّ المقصود هنا بالأمة أولئك الذين يُعبّر عنهم القرآن غالبا بالناس. إن محمدا هو آخر الأنبياء، ورسالته آخر الرسالات، وأمته آخر الأمم. إنَّه مبعوث إلى الناس في كافة العالَم.

ومما يؤيد هذا، أنّ الأستاذ طارق البشري ، يستخدم مفهومي "أممي" و"عصري" للدلالة على "عالَمي" ان "العصر" يعني الدهر أو الزمن وأنه يُنسب إلى شخص مثل قولنا: "عصر ابن خلدون" أو إلى دولة مثل قولنا: "العصر العباسي" أو إلى ظواهر طبيعية مثل قولنا: "العصر الحجري" أو إلى ظواهر اجتماعية مثل قولنا: "عصر الإصلاح" و"عصر النهضة" أو ينسب إلى مرحلة من التاريخ مثل قولنا: "العصر الحديث."

ومن المرادفات لكلمة العالَمية أيضا كلمة "الشامل" و "الشمولية"، على حد قول الجابري. فعندما نقول: « "الإعلان العالَمي لحقوق الإنسان": فالحقوق المعنية هي "عالمية" بمعنى أنها حقوق للناس كافة، لا فرق بين ذكر أو أنثى ولا بين أبيض وأسود ولا بين فقير وغني، بل هي حقوق الإنسان بما هو إنسان بقطع النظر عن أي شيء آخر. «

وممّا سبق نخلص إلى أن كلمة "العالَمية" في اللغة العربية أصلية، ولكنها لم تتطور اصطلاحيا كثيرا، بسبب حالة الانحطاط التي عرفتها الشعوب العربية الإسلامية.

اما عن استخدام مفهوم العالمية (في اللغتين الفرنسية والإنجليزية) فقد اشتقت كلمة "Universel(elle)"باللغة الفرنسية و" Universal" باللغة الانجليزية من أصل كلمة " Univers" التي تعني العالَم والكون.

وتأخذ معنى "الشمول (Totalité) "في عبارة (الفكر الشمولي)

وتأخذ معنى "الكونية (Cosmique) مثل تسمية "العالَمية" بالكونية كالقول الحرب الكونية، إذ أن الأرض وسكانها ودولها جزء من الكواكب

وتأخذ كلمة "عالَمي" معنى "الكوكبي ف"الكوكبية" من الكلمة الإنجليزية (Globalization) وذلك للتدليل على العولمة الجارية، وهي مشتقة من كلمة "Globe" أي الكوكب أو الكرة الأرضية.

وتفيد كلمة "العالمية" أيضا معنى «الانفتاح على العالَم » من خلال عبارة: "المواطنة العالمية" أو "الشخص العالمي" وهو مذهب فكري "إنساني" ساد أوروبا منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وهو نسبة إلى الذي يعتقد أنه مواطن عالمي يرفض أن ينغلق في إطار ضيق من الانتماء إلى قومية أو أمة.

ويعني الشخص الكوسموبوليتي، شخصا عابرا للقوميات. يقول الفيلسوف الإغريقي ديوجيناز لايرتيوس عندما سئل من أين جاء؟ أجاب : « أنا مواطن عالَمي» " فالكوسموبوليتي: شخص يعتبر إحساسه بالتوحد موجها أساسا نحو عالَم اجتماعي ، يخرج عن النطاق المحدود لمجتمعه المحلي. " . وقد استخدم المصطلح في بداية الأمر روبرت ميرتون لكي يقيم تفرقة بين الاتجاهات المحلية، والانفتاح على العالَم .«

ويشتق من كلمة "عالم" أيضا كلمة (Universalisation) للدلالة على عملية الانتشار والتوسيع والتعميم والاشتراك عن طريق عملية النشر عبر العالم (Universaliser) مثل نشر ثقافة ما، أو نموذج فني ما، أو لغة ما نظرا لتفوقها على غيرها.

ويستخدم أيضا كلمة (Universalisme) للدلالة على مذهب سياسي فلسفي وإيديولوجي وديني وثقافي، كالقول بالعالمية الرأسمالية والعالمية الشيوعية.أو القول بعالمية الدين الإسلامي.

كما تأخذ كلمة "العالمية" شكلا اشتقاقيا آخر وهو (Universeaux) بمعنى الكليات الخمس في الفلسفة اليونانية وهي: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرَض العام. وقد سماها أرسطو بالمحمولات التي تُحمل على الموضوع بهدف تصنيف الأشخاص والأفكار.

المعنى الاصطلاحي للعولمة:

لابد إن نشير في البداية إلى ان هناك اختلافات كثيرة بشأن تعريف العولمة، تتشابه هذه الاختلافات مع حالة قصة العميان مع الفيل ، ويمكن رد هذه الاختلافات إلي كونها ظاهرة

متشعبة تتجلى في عدة مظاهر، و غير مكتملة، أي أنها تمثل مرحلة من مراحل التاريخ، تتطور فيها المفاهيم والآليات، و تسعى إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد.

كما إنها "أي العولمة" سريعة التطور، وهو ما يجعل التكهن بالمآل الذي ستبلغه صعبا للغاية. وهذا الكسندر كينغ يقول " إننا وسط مخاض طويل وشاق سيؤدي بشكل أو بأخر إلى ميلاد مجتمع معولم لا نستطيع إن نتكهن الآن بهيكلته " بالإضافة إلى تفاوت مستوى فهم الناس لها وتباين نظرتهم لها، وهذا التباين يتضح جليا بين المنتج والمستهلك. فالعولمة في منظور الغرب "منتج العولمة" ليست كنظرة غيرهم من المستضعفين "الطرف المتلقي للعولمة"، إذ يرى الطرف الأقوى أنها خير عام أما المتضررين من أثارها فيرون أن سلبياتها أكثر ضررا من نفعها.

كما يتضح هذا التباين بين دعاة العولمة، ومناصريها من جهة، اللذين يقدمونها على أنها نظام يحمل قيم العدل والخير والرفاهية.والرافضين لها اعتقادا منهم إنها لا تبشر بالخير ولا تخدم سوى مصالح القوى الكبرى من جهة أخرى .

ويقول المحامي "كامل أبو صقر"متحدثا عن تعدد رؤى الأفراد، واختلاف مستويات فهمهم للعولمة: "العالم قرية صغيرة بالنسبة لرجل الأعمال ، وشربة ماء لطفل في إفريقيا، وبيت لمتشرد وجرعة دواء لمريض، ولوحة ذات جمال أخاذ لفنان، وقرية الكترونية لمدمن على الإنترنت ، فلكل واحد من الناس نظرة مستقلة مختلفة بالنسبة للعالم. و لكن بالنسبة للمضاربين في الأرض، والتجار والمستثمرين، ورجال الأعمال، والمال فإن العالم هو سوق. والعولمة هي حرية التجارة الدولية، التي هي في تزايد "

وإذا كانت مفاهيم الباحثين للعولمة متباينة ، لدرجة إن بعضهم صنفها إلى مجموعات أي حسب البعد الذي ترتكز عليه ، مما أنتج لديهم عدة عولمات " اقتصادية وسياسية وثقافية واديولوجية واتصالية...الخ .فان بعض الدراسات تشير إلى:"أن علماء الاقتصاد هم أول من وضعوا المعاني الأولى للعولمة على الرغم من اختلافاتهم في دقة معناها" و نحن نورد أهمها، بغض النظر عن الإنحيازات الإيديولوجية، لأن ما يهمنا هو تحليل مضامين هذه التعاريف، والكشف عن مدلولاتها انطلاقا من رؤية أصحابها لظاهرة العولمة وتحليلهم لها.

بداية نحاول التعرض لمفهومها حسب التصور الأوربي أو الغربي لها على أساس أن الغربيين قد تناولوا هذا الموضوع في هذا العصر أكثر من غيرهم.

مفهوم العولمة عند بعض الدارسين الأوربيين:

إن مصطلح العولمة قد بدأ تداوله من طرف الغربيين قبل أن ينتقل إلى الساحة العربية، حيث تشير كثير من الدراسات الى أن المصطلح استعمل لأول مرة عام 1968، من طرف الكاتب مرشال ماكلوهان في مؤلفه "الحرب والسلم في القرية العالمية" عندما تحدث عن تأثير التلفزيون في سير الحرب في الفيتنام، حيث أن أجهزة الإعلام الحديثة تجعل من الكون قرية واحدة. وبعد ذلك لم يستعمل حتى عام 1983 من طرف تيدور لوفيت في مقاله المعنون "عولمة الأسواق" ثم جاء بعده "زبيغينو بريجينسكي" الذي أصبح فيما بعد مستشارا للرئيس الأمريكي "كارتر" و وظف هذا المصطلح انطلاقا من امتلاك أمريكا لـ 75% من مجموع الاتصالات العالمية على انها تمتلك نموذجا كونيا للحداثة . ثم توالت الكتابات في الموضوع خاصة بعد تبني ملتقى دافوس عام 1993 فكرة العولة كمصطلح جديد في مختلف التعاملات الاقتصادية.

ما مفهومها عند الدارسين الأوربيين؟

يعرفها رونالد روبرتسون Ronald Robertson قائلا: " العولمة هي اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش" ونلاحظ هنا البعد الوظيفي للعولمة حيث يركز على أمرين أساسيين أولهما انكماش العالم ويقصد به تقليص المسافات بين الأفراد في جميع إنحاء العالم و ثانيهما قضية الوعي بهذا الانكماش والإدراك الكامل بفكرة القرية الكونية لكن السؤال الذي يطرح هنا هو هل هذه القرية تنفي وجود الصراع المؤدي إلى التفكك والانقسام؟ الإجابة عن هذا السؤال مرتبطة بالأحداث القادمة والتغيرات التي تصاحب صيرورة العولمة.

ويعرفها الكاتب الفرنسي دولفوس:" بأنها تبادل شامل و إجمالي بين مختلف أطراف الكون، يتحول العالم على أساسه إلى محطة تفاعلية للإنسانية بأكملها، وهي كظاهرة لا تخرج عن دائرة

المتبادلات الاقتصادية داخل الأسواق العالمية . وهنا يتضح طغيان الجانب الاقتصادي في هذا التعريف.

ويمثل الفين توفلر الذي انفرد بمصطلح الموجة الثالثة رؤية أخرى في المجال فقد جعل من أهم سمات هذه الموجة المعرفة التي تعمل على توفير الوقت والمكان سواء في أماكن التخزين أو وسائل النقل و في سرعة التوزيع، و الاتصال بين المنتج و المستهلك .وهذا التعريف يولي اهمية بالغة لقيمة المعرفة في زمن العولمة .

و يثبت هانس بيتر مارتن و هارالد شومان، صاحبا كتاب فخ العولمة إن العولمة لا تخرج عن فعل التنميط الشامل فهي: "عملية الوصول بالبشرية إلى نمط واحد في التعبير والآكل والملبس والعادات والتقاليد. "

أما الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي فيركز على الجانب الاديولوجي فيقول: "إنها نظام يمكن الأقوياء من فرض الدكتاتوريات الإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق" . وهذا تعريف يركز على البعد الاديولوجي وما تحمله العولمة من صور للهيمنة.

وإذا كان مصطلح العولمة قد بدأ عند الغرب فقد تحول إلى العرب كعادته من المصطلحات الجديدة وقد تلقفته الدراسات العربية بالفحص والنقد.

مفهوم العولمة عند بعض الدارسين العرب:

نبدأ بتعريف الفرد فرج الذي يقول:هي "لفظ جديد لظاهرة قديمة، نشأت في دنيا أصبحت في حجم قرية الكترونية صغيرة ترابطت بالأقمار الصناعية والاتصالات الفضائية وقنوات التلفزيون الدولي" وهو يبين الآليات العلمية والوسائل التقنية التي ساهمت في إيجاد هذا الانكماش.

في سياق ذلك فإن برهإن غليون يعتبر العولمة نتيجة من نتائج التقدم العلمي و يقول في تعريفه لها: "هي الدخول بسبب تطور الثورة المعلوماتية والتقنية و الاقتصادية معا من التطور لحضاري يصبح فيه مصير الإنسانية موحدا أو نازعا نحو التوحيد " وهو بذلك يجعل العولمة

في قمة هرم أضلعه الثلاثة هي المعلوماتية، التقنية، الاقتصاد.وبعبارة أخرى معتبرا إياها ثمرة من ثمرات التطور الحاصل على المستوى الاقتصادي و العلمي.

التطور الاقتصادي

التطور التقني التطور الحضاري ا لعولمة = وحدة الإنسانية

الثورة المعلوماتية

إن القراءة المتأنية لهذه المعادلة تجعلنا نطرح الأسئلة الآتية: من يوحد هذا المصير؟ وهل يدخل الأفراد في هذا المصير طواعية و تحت ضغط الهيمنة وشروطها أم إن قيم العدل والمساواة و الحرية التي ينشدها الجميع هي التي توحدهم؟.

والجواب هو أن الأطراف القوية هي التي تفرض موقفها على الأطراف الضعيفة وتبقى المعادلة قابلة لمختلف التفسيرات، ولعل التوضيحات القادمة تجيب عن الاسئلة.

إلى جانب كل التعريفات السابقة فإن هناك تعريفات أخرى تركز على المجالات التي تتجلى فيها الظاهرة كتعريف محمد الحماد للعولمة التي يصفها بأنها : "هي ظاهرة عامة يتدخل فيها بشكل أساسي الاقتصاد ثم السياسة و الثقافة والاجتماع والسلوك ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود الوطنية. "

وهناك تعريفات تضفي على العولمة بعد الهيمنة وتركز على الجانب الإيديولوجي منها:

-1تعريف محمد عابد الجابري الذي يقول "العولمة ليست مجرد آلية من آليات النظام الرأسمالي، بل هي أيضا و بالدرجة الأولى إيديولوجيات تعكس إرادة الهيمنة على العالم فالعولمة هي إذن ما بعد الاستعمار" وهي تستهدف ثلاثة كيانات، الدولة و الأمة والوطن.

كما إنها تعمل علي اختراق مقدسات الأمم والشعوب في لغاتها و ودولها و أوطانها و أديانها .

إضافة إلى ذلك فهو يصفها بأنه: " نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن وبالتالي فإنه يعمل علي التفتيت والتشتت وإيقاظ أطر الانتماء إلى القبيلة والطائفة والجهة والتعصب بعد إن تضعف

إرادة الدولة وهوية الوطن " ومعنى القفز هنا تهميش وإقصاء للأدوار و إحلال مؤسسات العولمة محل مؤسسات الدولة في ميادين الاقتصاد والمال وهو ما يفقدها السيادة على الأرض.

و هناك تعاريف يركز بعضها على مخاطرها، و جوانبها السلبية ولا ترى في العولمة ما يغري بل على العكس، معها يفقد الأفراد جميع القيم الأخلاقية والإنسانية وفي هذا المجال يقول أبو راشد في كتابه "العولمة إشكالية المصطلح ودلالاته في الأدبيات المعاصرة": العولمة تعني " التعبير عن انسحاق الإنسان أمام سطوة الآلة والتقدم العلمي وتمركز رأس المال، وانعدام القيم الإنسانية والأخلاقية، وسيادة منطق الربح والازدهار الفردي، البقاء للأقوى من خلال تجارة سوق المعلوماتية، والاستلاب الثقافي للشعوب والدول و القوميات. "

وهذا تعريف يصنف صاحبه من المتشائمين الذين يرون العولمة إيديولوجيا للإقصاء والتهميش فقط، وتتضح نظرته جليا عندما يصف العولمة في كتابه " العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية.جذور- خلفيات –تحديات". بأنها: "منظومة متكاملة من العلاقات النفعية المتبادلة، تقوم فلسفتها على الهيمنة والاختراق، وهي إمبريالية المنشأ والتوجه والأسلوب والوسيلة " .

بالإضافة إلى ذلك نجد تعريفات أخرى تعبر عن نفس البعد وينطلق أصحابها من كون العولمة فرض نموذج معين على كل الناس، وفي كل مكان وهو ما يعني القضاء على الخصوصية، والتنوع والاختلاف.فصادق جلال العظم يعرفها بقوله: "هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز بقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ" وهذا يعني إن العولمة تريد إن تجعل العالم عالما واحدا، موجها توجيها واحدا في إطار حضارة واحدة .

ويصفها وليد عودة بقوله:" هي موجة جارفة من التحولات الاقتصادية والتقنية عبر العالم، لا تتقيد بحدود أو ضوابط ولا يمكن التحكم بها" ، وهذا الوصف مصدره هذا الانتشار السريع للظاهرة.

و لاشك إن العولمة بهذه الصورة قد تخيف الكثيرين خاصة في ما يتعلق بالاقتصاد حيث تشير أغلب الدراسات إلى إن هناك توقعات خطيرة تنتجها العولمة كزيادة البطالة وانخفاض الأجور،

وتدهور مستوي المعيشة، وتقلص الخدمات التي تقدمها الدولة، وتفاقم التفاوت في توزيع الثروة بين المواطنين .

ويقول رئيس وزراء ماليزيا "مهاتير محمد" مشيرا الى هذا التخوف :"إن العالم المعولم لن يكون أكثر عدلا ومساواة، وإنما سيخضع للدول القوية المهيمنة. وكما أدى انهيار الحرب الباردة إلى موت و تدمير كثير من الناس، فإن العولمة يمكن إن تفعل الشيء نفسه ربما أكثر من ذلك، في عالم معولم سيصبح بإمكان الدول الغنية المهيمنة فرض إرادتها على الباقين الذين لن تكون حالهم أفضل مما كانت عليه عندما كانوا مستعمرين من قبل أولئك الأغنياء. "

ويصب تعريف مصطفى محمود في نفس المصب عندما يقول: "إنها مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ المواطن من وطنيته وقوميته، وانتمائه الديني و الاجتماعي و السياسي بحيث لا يبقى منه إلا خادم القوى الكبرى. "

في الإطار نفسه يرى المفكر المصري حسن حنفي إن "العولمة لصالح الآخر على حساب الأنا، أي الذات و قوة الآخر، في مقابل ضعف الأنا وتوحيد الآخر" . نلاحظ هنا اتفاق مفهوم العولمة مع منطق الرأسمالية، وإن تباين تصور المدافعين عن الاقتصاد العالمي الجديد من الرافضين له . فالحديث عن العولمة في هذه التعاريف لا يخرج عن تصور ملامح اقتصاد عالمي، موسوم بالقوة والسرعة، يشمل جميع ربوع العالم.

من هنا يمكن القول إن الرأسمالية في تطورها، قد ساهمت في بلورة عولمة رأسمالية جديدة، تتفق مع الليبرالية الجديدة المعتمدة على المستوى العلمي والتكنولوجي، الذي بلغه المجتمع البشري اليوم.

أما دعاة العولمة فيعرفونها على إنها توحد عالمي، وإلغاء للحواجز بين الشعوب وتحقيق للاقتراب بين الأفراد وإحداث للتوافق والتجانس، وربط الجميع بوعي عالمي يتأسس على مواثيق ذات طابع إنساني.

يعرف إسماعيل صبري العولمة بأنها ذلك: " التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك، دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو دولة معينة. "

وفي الاتجاه نفسه الذي يجعل من العولمة ظاهرة تستهدف تجميع الأفراد تحت نظام اقتصادي وسياسي واجتماعي واحد يعرفها كمال عبد الغني المرسي بقوله : "هي اتجاه متنام يصبح معه العالم دائرة اجتماعية وسياسية و اقتصادية وثقافية واحدة تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول. "

إن هؤلاء لا تفزعهم العولمة، و لا تخيفهم مخاطرها. بل هي على العكس تفتح لهم آفاقا واسعة للاتصال، وتتيح لهم الفرص لإبراز المهارات والكفاءات، التي تؤهلهم للمشاركة الفعالة. وهي ليست ظاهرة طارئة في تاريخ البشرية، بل هي ظاهرة دينامكية، تعبر عن ميل إنساني طبيعي. ونستنتج من التعاريف المذكورة إن هناك تباينا واضحا بينها، من حيث الشمولية والجزئية، ومن حيث المنطلق والهدف، وإن كانت اغلب الدراسات تركز على القوامة الاقتصادية لهذه الظاهرة، وهذا ما أعلنه جوناثان فريدمان عندما قال :" إن الذي يقود حركة العولمة هو قوانين وآليات رأس المال وليس الثورة العلمية والتكنولوجية. "

إن هذا الخطاب يكرسه أيضا رجال السياسة و الزعماء الكبار، عندما يرسمون للعالم وضعا يرغبون التوجه نحوه وفي هذا المجال قال الرئيس الأمريكي السابق "بيل كلينتون " في خطاب ألقاه بمناسبة ملتقى دافوس يوم 29 جانفي 2000 " اليوم ، وفي بداية قرن جديد العالم برمته يجد نفسه في مفترق طرق، وليس أوربا ، والولايات المتحدة، والدول الأخرى في آسيا فقط. العولمة ثورة في الطريقة التي نعمل بها والطريقة التي نعيش بها، وربما الطريقة التي يرتبط كل واحد بالآخر عبر الحدود القومية، فقد انتزعت الأبواب، و أشادت شبكة اتصالات بين الدول والأفراد، وبين الاقتصاديات و الثقافات، علينا إن ندرك أولا إن العولمة جعلتنا جميعا أكثر حرية، وأكثر استقلالا . "

إن هذه النظرة التي تبدو تفاؤلية، ليست غريبة على رئيس حكم أكبر دولة قادت العالم ولازالت نحو العولمة التي هي في نظره ظاهرة تفرز العلاقات بين الأفراد، والأمم. وتساهم في تسارع عمليات الإنتاج باستخدام الآليات الحديثة، وتسهل انتقال رؤوس الأموال والخدمات، بالشكل الذي يشجع المهارات و المبادرات.

خلاصة لجميع هذه التعريفات والمواقف يمكن الإشارة إلى مايلي:

/1إن بعضها يغلب عليه طابع التشاؤم المشبع بالرفض كما يتجلى في تعريف الجابري وأبي راشد وغارودي ومصطفى محمود.

/2إن آليات الرأسمالية هي التي تقود حركة العولمة.

/3هناك تعاريف تؤرخ للعولمة كما في تعريف الفرد فرج.

/4ارتباط العولمة بنتائج التقدم العلمي والتقني.كما في تعريف برهان غليون.

/5 اتصاف الظاهرة بخاصية الشمول كما يجليها تعريفمحمد الحماد وإسماعيل صبري.

/6 طغيان النظرة الاديولوجية على تعريفات كثيرة منها تعريف الجابري وابي راشد.

/ 7 إن اغلب التعاريف تركز علي الجانب الاقتصادي على حساب جوانب أخرى. حيث تغدو الحركة الاقتصادية محور نشاط نظام العولمة التي لا تخرج عن تكثيف العلاقات الرأسمالية وهو ما يذهب إليه سمير أمين في مطلع كتابه: إمبراطورية الفوضى.

ويكشف المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة إن العولمة أو الكوكبة هي:"مذهب القائلين ان الرأسمالية هي ديانة الإنسانية وان العالم ينتقل حاليا ونهائيا من الشمولية والسلطوية إلى الديمقراطية و التعددية وتشمله ثورة معلوماتية تنشر في كل مكان، من شأنها إلغاء الحدود بين الدول ، بحيث يصبح من السهل انتقال الناس والمعلومات والسلع على نطاق العالم كله ... والعولمة بهذه المعاني تقابلها المحلية....وفي العولمة رسملة العالم وتتم السيطرة عليه في ظل هيمنة دول المركز وسيادة النظام العالمي الواحد ."

وفي هذا الاطار لابد ان نتحدث عن خصائصها بما يمكن أن يضفي عليها وضوحا تتجلى معه معالمها وعليه فإن أهم ما يميز هذه الظاهرة في نظرنا ما يلي:

.1 الانتشار المتسارع للتكنولوجيا.

.2 اتساع شبكة الاتصال والمعلوماتية.

.3 الاندماج المتسارع للاقتصاد العالمي .

.4 كثرة التحالفات والمعاهدات .

.5 كثرة التكتلات الاقتصادية،واندماج الشركات المتعددة الجنسيات واستخدامها لعمالة فنية عالية الحرفية ورخيصة الأجر.

.6 فتح الحدود أمام السلع الخارجية و أمام رأس المال للاستثمار.

.7فتح الحدود أمام تيار التبادل و التحاور بما يخدم المصالح المختلفة.

.8 ظهور قيم معرفية و أخلاقية جديدة.

.9 بروز فلسفة المنافسة في كل القطاعات.

.10 تحول واضح في المفاهيم السياسية. وضعف مقوم النظام السياسي.

.11 السعي نحو تحقيق مفهوم العالم الواحد والضغط في اتجاه توحيد النظم الاقتصادية على مستوى العالم .

إن القراءة العميقة والشاملة لهذه التعاريف تجعلنا نميز مجموعة من المفاهيم للعولمة وحتى يتسنى لنا تصنيف هذه التعاريف ، وهي تختلف في محتواها حسب المنظور التخصُّصي، المعرفي، الفكري، لواضعيها لابد من صياغتها داخل اطرها المعرفية ، ويمكن ضبطها كما يلي :

أ) المفهوم الفلسفي الفكري.

تعترف الفلسفة بوجود سمات مشتركة لكل الإنسانية مما يدل على وجود هدف مشترك. وتؤكد أن شكل مجموعة بشرية مثالية يمكن أن يتحدد بالرجوع إلى عالمية الطبيعة البشرية.

يقول محمد الحماد في وصفه للعولمة بقوله : "هي ظاهرة عامة يتدخل فيها بشكل أساسي الاقتصاد ثم السياسة و الثقافة والاجتماع والسلوك ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود الوطنية. "

وفي الاتجاه نفسه الذي يجعل من العولمة ظاهرة تستهدف تجميع الأفراد تحت نظام اقتصادي وسياسي واجتماعي واحد وهو اتجاه متنام يصبح معه العالم دائرة اجتماعية وسياسية و اقتصادية وثقافية واحدة. "

لتحليل محتوى المفهوم الفلسفي من خلال التعاريف السابقة لا بد من «مراعاة "المقاصد" و"البواعث" أو "المفكر فيه" في عصر من العصور إننا محكومون في تصور (فكرة العولمة)، وشروطها وتطورها ومضمونها بما يُسميه الدكتور محمد عابد الجابري: "أسباب النزول" بتعبير القدماء.

كما أنه من خلال تحليل مضمون التعريفين تبين أن هناك تكاملا بينها. فالأول يركز على البعد الفلسفي والنظرة الأيديولوجية الشاملة للعولمة،

بينما التعريف الثاني، يشير إلى فكرة عالمية المجتمع البشري، الذي تذوب فيه جميع الفواصل .

وفكريا ركز المستفيدون من العولمة على ترويج الأيديولوجيات الفكرية الغربية، وفرضها في الواقع من خلال الضغوط السياسية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية أيضاً؛ وذلك في مجالات عدة كحقوق الإنسان، ومناهضة العنصرية، والديمقراطية، وحقوق الأقليات، وحرية الرأي. وإصدار الصكوك والاتفاقيات الدولية المصاغة بوجهة نظر غربية والضغط من أجل التوقيع عليها، مثل (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مكافحة التمييز ضد المرأة..اتفاقية حقوق الطفل الخ). وهذه الاتفاقيات وإن كان فيها بعض الحق إلا أن فيها الباطل وسيأتي الحديث بالتفصيل عن هذا، ويكفي أنها مصاغة بوجهة نظر وحيدة .

ب- **المفهوم الإيديولوجي:** وهو المفهوم الذي يعكس بصورة غير مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وتغريبه أو أمركته، مستغلة مظاهر وآليات التطور الحضاري الذي يشهده العصر: فالهيمنة العسكرية بواسطة الأحلاف العسكرية، ومنها حلف الأطلسي، والسياسية بواسطة الهيمنة على مجلس الأمن، والاقتصادية من خلال المنظمات الدولية الاقتصادية مثل منظمة التجارة العالمية، والاجتماعية من خلال مؤتمرات دولية وإقليمية، والفكرية من خلال القوانين والاتفاقيات الدولية في هذا المجال؛ مدعومة بقوة دفع ضخمة بواسطة إمبراطوريات إعلامية وشبكة معلومات دولية (إنترنت) يسيطر الغربيون على معظمها؛ ومن هنا اعتبر (جارودي) العولمة هي الاسم الجديد للاستعمار،اما محمد عابد الجابري فيعتبرها آلية من آليات النظام الرأسمالي تعكس إرادة الهيمنة على العالم فالعولمة هي إذن ما بعد الاستعمار وهي تستهدف

ثلاثة كيانات كما قال، الدولة و الأمة والوطن.كما إنها تعمل علي اختراق مقدسات الأمم والشعوب في لغاتها و ودولها و أوطانها و أديانها.

فالعولمة هي اذن عملية إنتاج نظام هيمنة شامل ، ركيزته الأساسية اقتصادية بطبيعتها لكن تجلياته في المجالات السياسية والأمنية والثقافية والإعلامية لا تقل خطورة وأهمية عن تجلياته الاقتصادية.

وعن بروز دور الولايات المتحدة الامريكية في بلورة العولمة يقول الدكتور عبد الرزاق قسوم :"ان العولمة مفهوم تمت صياغته في المخابر والمصانع الأمريكية وما يتبعها "

ج-المفهوم الثقافي: إن العولمة ليست في اعتقادي مجرد تهديد بالسيطرة على الدولة وقراراتها والتحكم بالاقتصاد من خلال التنافس على الأسواق بل أن لها أهدافا تصل إلى أبعد من ذلك بكثير فهي تطال الثقافات و الهويات القومية والوطنية وتهدد الخصوصيات، وترمي إلى تعميم أنموذج من السلوك والقيم والمفاهيم. وإذا كانت العولمة الاقتصادية بارزة في مظاهرها العامة فان العولمة الثقافية تزحف ببطء في الديار والمؤسسات .

د-المفهوم السياسي: في هذا السياق يتدخل البعد الجيوسياسي géopolitique كمنهج تحليلي للسياسات الخارجية القائمة على قيم تفسيرية وتكهنية قابلة للتغير والتبدل، ويصب تعريف مصطفى محمود في نفس المصب عندما يقول: "إنها مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ المواطن من وطنيته وقوميته، وانتمائه الديني و الاجتماعي و السياسي بحيث لا يبقى منه إلا خادم القوى الكبرى." و في هذا السياق، يتم تداول الحكومة العالمية، كمصطلح اخذ أهميته في التسعينات، من خلال تحليل خطاب العولمة في أبعاده السياسية .

هـ-المفهوم الاقتصادي: وهو الذي يجعل العولمة تعتمد على فكرة وحدة السوق، وإزالة العوائق أمام حركة رأس المال، وحرية الاقتصاد، ، وتحويل المجتمعات إلى مجتمعات منتجة هي مجتمعات الدول الصناعية، ومجتمعات مستهلكة هي مجتمعات الدول الأخرى

العولمة في المفهوم الاقتصادي تعني أنها :"مرحلة من مراحل تطور نظام الرأسمال العالمي وفيه تذوب الشؤون الاقتصادية للدولة القومية في الإطار العالمي دون اعتبار للحدود

السياسية للدول ، وفيها ينتقل الإنتاج الرأسمالي من عالمية التبادل والتوزيع إلى عالمية الإنتاج وإعادة الإنتاج في ظل هيمنة الدول المتقدمة، والشركات متعددة الجنسيات والمنظمات العالمية، وإنهاء أي تدخل للدولة في النشاط الاقتصادي وتبني كل ما هو في مصلحة رأس المال الذي يتجه نحو إنتاج المعلومات. "

يتفق كثير من الدارسين على أن الوجه الاقتصادي هو الوجه الطاغي على العولمة وهو الأكثر تعبير على جوهرها لان الحركة التي يشهدها الاقتصاد في رأس المال والعمالة وحركة السلع، في إطار التجارة العالمية هي الأبرز مقارنة بانتقال القيم والثقافات والتقاليد كما أن ازدياد عدد الشركات الأجنبية وتوالد فروعها في العالم وسعيها للسيطرة مع تقوم به من استثمارات وإنتاج للسلع وتسويقها بطريقة تتنافس فيها مختلف المؤسسات الأخرى .

ونفس السياق قال احد الكتاب اللبنانيين:"العولمة هي وصول نمط الإنتاج الرأسمالي عند منتصف هذا القرن تقريبا إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة الإنتاج والتوزيع والسوق والتجارة والتداول، إلى عالمية دائرة الإنتاج وإعادة الإنتاج ذاتها ".